

## تجربة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

ماذا ترى يصنع رجل يمشق للمرة الأولى في حياة صاحبه مضطربة، ولكنها على كثرة ما جرب فيها خلت من الحب ونجت من زلزله للنفس؟؟

عن هذا كان يسأل «ميم» - وحسبنا من اسمه حرف واحد - وهو جالس إلى مكتبه، والفتاة التي يجبها قبالة على الشرفة. والجديد من الأمر يتطلب جديداً من التصرف والتدبير، ولو كانت له خبرة بالحب، أو سبق له به عهد، لقاها حاضره على ماضيه، وأجراه في مجاربه. وغريب أن يتقضى شياؤه وهو فارغ القلب، وأن يدركه الحب ويعمر فؤاده بعد أن شارف الكهولة ووقف على بابها، وأخذ الأبيض يختلط بالأسود، وبدأ الزمن يرسم خطوطه!! وإن كان هو لا يحس شيئاً من ذلك ولا يباليه، ولا يعرف إلا أنه ما زال في عنفوان الفتوة

وألقى القلم واضطجع وقال يناجي نفسه، وهو يضحك ساخراً: «هل أصنع كما يصنعون في هذه الروايات الكثيرة التي قرأتها؟ وعلى ذكر ذلك - ماذا ترى أبطال هذه الروايات يصنعون في حالات كهذه؟ لقد نسيت والله: فكأنني ما قرأتها ولا وقعت عيني عليها... وهبني كنت أذكر ذلك فهل يصح في دنيا الحقيقة ما يصف الخيال؟»

واستطرد من هذا إلى القول بأن الروايات ليست - ولا يمكن أن تكون - خيلاً بحتاً، وشيئاً يخلقه الانسان من لا شيء، ولا يبحر فيه إلى أصل من حقائق الحياة، وأنكر قدرة الانسان على هذا الخلق، وذهب إلى أن كل ما يسمعه هو أن يلقى القصة من جملة ما شهد وجرب وسمع، وأن يكون الشخصيات من أشتات ما عرف، فليست القصص خيلاً، ولا ما تصفه محالاً، وإذن يكون تقليدها ميسوراً... أودع كونه ميسوراً أو غير ميسور، وقل إنه لا يكون شططاً

«ولكن القصص بمعنى فيها واضعها بترتيب الأحوال والمواقف على النحو الذي يؤثره هو، والذي يراه أوفق لغايته، ومن عسى يرتب لي دنياي كما يرتب مؤلف القصة دنيا أبطاله؟؟»

الأم، ولا يريد أن يكون مقيداً لأنه حر؟

أنظر إلى هذا الشرطي في هذا الشارع يضرب مقبلاً كيدبر ومدبراً ليقبل، وقد ألبسته الحكومة ثياباً يميز بها، وهي تتكلم لغة غير لغة الثياب وكأنها تقول: أيها الناس إن ههنا الانسان الذي هو قانون دائماً، والذي هو قوة أبداً، والذي هو سجن حيناً، والذي هو الموت إذا اقتضى الحال

أحسب يا بني هذا الشرطي قائماً في هذا الشارع كجدران هذه المنازل؟ كلا يا بني. إنه واقف أيضاً في الارادة الانسانية وفي الحس البشرى وفي العاطفة الحية. فكيف لا يمحوه المجددون مع أنه في ذاته ارغام بمعنى، وإكراه بمعنى غيره، وقيد في حالة، وبلاء في حالة أخرى؟

لكنه ارغام ليقع به التيسير، وإكراه لتتعلق به الرغبة، وقيد لتتجدد به الحرية؛ وكان هو نفسه بلاء من ناحية ليكون هو نفسه عصمة من الناحية التي تقابلها

يا بني! كل دين صالح، وكل فضيلة كريمة، وكل خلق طيب، كل شيء من ذلك إنما هو على طريق الصالح الانسانية كهذا الشرطي بعينه؛ فاما تخريب العالم أيها المجددون وإما تخريب مذهبكم....

\*\*\*

قال العجوز (ن): أنبحث عما تسلط به أم نبحت عما يتسلط علينا. وهل تريد أن تكون غرارتنا أقوى منا وأشد، أو نكون نحن أشد منها وأقوى؟ هذه هي المسئلة لا مسئلة الجديد والقديم

فان لم يكن هناك المثل الأعلى الذي يعظم بنا ونعظم به، فسدت الحس وفسدت الحياة. وكل الأديان الصحيحة والأخلاق الفاضلة إن هي إلا وسائل هذا المثل الأعلى للسمو بالحياة في آمالها وغاياتها عن الحياة نفسها في وقائنها وممانيتها

\*\*\*

قال المحدث: ورأيتني بين العجوزين كأني بين نابين؛ ولم أكن مجدداً على مذهب ابليس الذي رد على الله والملائكة وظن لحقه أن قوة المنطق تغير ما لا يتغير. فسكت حتى إذا فرغنا من هذه الفلسفة قلت: والرحلة إلى سنة ١٨٩٥؟

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

( لها بية - طنطا )

صبر على غير ذلك؟؟ . وللسن حكما... وسنها الصغيرة تغريم  
ولا شك بإثارة القصص والروايات لأن حياتها جديدة فهي تروى  
أن تعرفها معرفتها؛ وتظن أن الروايات أخصر الطرق وأوجزها  
إلى هذه المعرفة... ثم إن الروايات تصف كل ما هو حبيب  
إلى الشباب وقريب من هواه

وصار بأنس بمنظرها، ويرتاح إذا بدت لناظره، ويشمر  
بالفراغ حوله - وفي نفسه - إذا خلا مكانها، أو لم تظهر على  
الشرفة أو من النافذة. وأدعى من ذلك أنه صار يحس من نفسه  
العجز عن العمل والتفكير إذا لم تأخذها عينه في محلها المألوف  
من الشرفة

واستحيا أن يسأل عنها جاراً، أو خادماً، أو أحداً من  
الناس - وماذا عسى أن يقول لهؤلاء؟ ... وبأى شيء يسوغ  
السؤال؟؟

وفرك عينيه بأصابعه، وهو يدبر هذا كله في نفسه، ثم أطبق  
جفونه وراح يحاول أن يحضرها لذهنه، كما تبدوله من النافذة  
أو الشرفة المألوفة، فلم يجد عناء في ذلك، فقد كانت الصورة  
مطبوعة على صدره... وذكر قول العقاد في قصيدة مرقصة له:

ذهبي الشعر ساجي الطرف حلو اللفات

فأما أنها ذهبية الشعر فنعم! وأما أنها ساحية الطرف فلا..  
فإن في نظرتها - حتى على هذا البعد - لقوة، وإن كان لم يرا حل  
من نظرتها ولا أسحر للب حين تبتم، ويشرق وجهها الواضح  
الصبيح، وإنه ليراها الآن كما كانت يوم سخكت وتشتت، وكانت  
معها أختها - لا بد أن تكون هذه أختها الكبرى فإن فيها منها  
مشابهة. والأرجح أنها متزوجة فإنها لا تزور هذا البيت إلا غيباً  
- وتالله ما كان أحلاها يومئذ! لقد كانت في ثوب وردي  
اللون محبوبك، مفصل على قدها تفصيلاً يجلو محاسنها كلها ويمرض  
مفاتها جميعاً... وكان نحرها بضوء - وثديها الناهدان  
يبدوان من تحت الثوب بارزى الحلمتين... إيه ما أعظم فتنة هذا  
الجسم الفض الجديد الذي لم يتبدله السن، ولم يرهله الزواج...  
وكان شعرها الوحد الأثيث الناعم اللامع مرخي... وكانت  
الضوء المراق عليه يخيل للناظر أن فيه نجومًا زهراً، أبهى وأسنى  
من نجوم السماء... وكان وجهها الدقيق المعارف... (يا ويلي  
من هذا الفم الذي لم يعرف الأصابع، وهو مع ذلك بيدولي كأنما  
غذته الورود) مهلاً. وقد لانت نظرتها القوية، وفقدت

أم أستشير صديقاً مجرباً؟؟؟ ولكن هذا مخجل!! ثم إن  
العبرة بنوع استجابة الفرد لواقع الحياة في نفسه؛ والاستجابة  
تختلف باختلاف الأفراد. والذي يفعله إنسان ما، في موقف ما،  
ليس من الحتم - ولا من المقول - أن يفعله كل إنسان في  
الموقف عينه

فلا استشارات عبث ولا خير فيها، ولا جدوى منها إلا  
الفضيحة... الفضيحة؟؟ نعم. أليس فضيحة أن تفتح قلبك  
لمخلوق غيرك، وأن تبيحه سررك، وتكشف له عن ضعفك،  
وتدع عينه ترى مقاتلك؟؟ ولكن هل معنى هذا أن الحب  
ضعف؟؟ نعم. لأن فيه إفناء شخصية في أخرى - إلى حد ما  
على الأقل - ولم أكن هكنا قبل أن أبتلى بهذا الحب. وإني  
الآن لأرى حياتي كلها رهناً بمخلوق آخر لا أعرفه ولا يعرفني...  
فكيف لا يكون هذا ضعفاً؟؟

وعلى ذكر ذلك من تكون هذه المحبوبة التي غيرتني  
وأورتني هذه المواجس والوساوس؟؟ . وجملت من نفسها  
المجهولة قطباً تدور عليه خواطري جميعاً في اليقظة والنائم...  
واستغرب من نفسه أنه لا يعرفها، وأنه مع ذلك لا يعنى  
بسواها، في حين يعرف من إحصاء البوليس أن فيه مائتي قهوة  
ومائة وعشرين ألف نفس، أي دائرتين انتخابيتين. «لومات  
أهل الحى لما حزن عليهم، ولا أسى لهم، ولا أحس نقصاً أو خسارة،  
ولا أسف إلا على خلو الحى وخرابه وعوده هو فيه وحده على  
تله. ولكنه لو علم أن هذه الفتاة جرح أصبها أو أصابها زكام،  
أو وعك، لبات مهد القلب كاسف الببال، بل لاسودت الدنيا  
في وجهه - ومع ذلك لا يعرفها!! لا اسمها... ولا دينها...  
ولا شيئاً عن قومها... وكل ما يعرف هو أنه يراها من نافذة  
غرفته وهو جالس إلى مكتبه يقرأ أو يكتب... وأنه ألفت أن  
يبصرها، وصار على الأيام يطيل النظر إليها وهي واقفة على الشرفة  
العالية، حتى اعتاد أن يراها على الأيام، وحتى صارت نفسه  
تستوحش إذا دخلت أو غابت. وجمل بلا حفظها بعد ذلك فادهشه  
منها أنها لا تكاد تغادر بيتها، فما رآها خارجة إلا مرة واحدة في  
شهور طويلة - مع أنها فقد كانت تلك أمها بلا شك - وهي  
مع ذلك من المسافرين! : وزاد دهشته أنه كان يراها في الأغاب  
جالسة في الشرفة وفي يدها كتاب... كتاب لا مجلة!! ترى أى  
كتاب أو كتب تقرأ؟؟ لا شك أنها روايات.. وهل للفتيات

لا مدد لها من المحبوب . فان فيها - بمجردا - للذة تترك المرء كالجل حين يجتر ما في جوفه ويميد مضغه مرة وأخرى .. وهل قتل الجنون وأمثاله من صرعى الهوى إلا هذه اللذة التي كانوا يجدونها في حبهم والتي كانت تغريهم بأن يجملوا لها غداء ومدداً من نفوسهم ؟ . . .

وابتسم وهو يقول . . . لست أحب أن أكون أحد هؤلاء المجانين الذين أتلغهم الحب وقتاهم المشق . . . فقد كانوا حقيقة مجانين . . . ولكن ليتنى أعرف حيلة !! والبلاء أن حياة المجتمع ما زالت كما كانت ، وإن كان النساء قد سفرن ! ومن النادر جداً على الرغم من هذا السفور أن يتيسر التعارف في مجتمعات مختلطة . إذن لمان الأمر وأمكن السعى

وقال وهو يضحك « لم يبق إلا السحر » ثم عبس ونهض وقال لنفسه إن التعبير بالسحر فيه مجوز كثير ، ولكن في الوسع تغليب إرادة على إرادة ، وأداء رسالة من نفس إلى نفس أخرى .. أعنى أن الإيجاء حقيقة ثابتة لا شك فيها - نعم لا يشك فيها إلا جاهل - وفي مقدورى ولا ريب أن أوحى إلى هذه الفتاة العاطفة التي تخامر نفسى ، وأن أبلغها رسالة قلبى ، وأن أوقد فى صدرها ناراً كالتى تنسمر فى قلبى . . . أفعل كل ذلك بمبنى . . . ألت قد أمت مرة خادماً كان عندي وأمرته ألا يستيقظ إلا بعد صلاة الجمعة ؟؟ ألت قد جربت فعل نظرتى فى نساء كثيرات ؟؟ ألم تصح إحداهن وقد أطلت التحديق فى عينها « حول عينك عنى ، فاني لا أطيق نظرتها وأحس أن رأسى يدور » ألم تصرخ إحدى قريباتى دون أن تحول عينها عنى ، لأنى كنت أهدق فى عينها على غير قصد ؟؟ فهذه قوة مجرّبة . . . قوة نفسية لا شك فيها . . . وما أظن إلا أنى قادر على أن أوحى إليها الحب . . . وكل شىء بعد ذلك يهون . . . نعم إن بيننا لبعداً . . . ولكن ما قيمة هذا ؟؟ . إنها موجة نفسية أرسلها إليها ، لا شرارة قصيرة . . . ولماذا يمكن لإرسال موجة من آخر الدنيا ، ولا يسهل إرسالها مسافة ثلاثين أو أربعين متراً ؟؟

واقنع بأن ذلك ميسور ، فانشرح صدره ، وأشرق وجهه ، واعترم أن يجرى هذه التجربة وسأبلغ القارىء ما يكون - إذا كان شىء  
ابراهيم عبد القادر المازنى

حدثها المألوفة ، واعتاضت منها الرقة ، وبدا خداهما كأنهما غلاقتا ورد . . . آه . . . ماذا يقول هذا الشاعر مهباز ؟؟

آه على الرقة فى خدودها لو أنها تسرى إلى فؤادها !! صحيح . . . . . وليت من يدري كيف فؤاد هذه الفتاة الزائمة الرقيقة الخدين اللينة النظرة حين يسرها شىء . . . . . أرفيق هو يا ترى تكديها ؟؟ أم . . . كلا !! لا يمكن أن يكون إلا رقيقاً . . . ولكن لماذا ؟؟ . على كل حال لا يزال أوان السؤال سيدياً . . . أوه بعيداً جداً . . . وما حاجتى إلى الاطمئنان من هذه الناحية ، ولا صلة هناك ، ولا كلام ، ولا حتى إشارة ؟؟ .

وقام يتمشى فى الغرفة الواسعة المكشوفة بالرغوف والمقاعد وغير ذلك ، وحدثته نفسه - وهي تعاتبه - أن يركب الحياة عما يركبها به الشباب ، فضحك وقال . . . لم يكن باقياً إلا هذا . . . أمسح لها شعرى بكفى . . . أو أعبث على مرأى منها بوردة أرجوانية « كفتاح خدها الأرجوانى » كما يقول البحترى ! . . . أو أعبث إليها مع النسيم بقبلة . . . أو هو هو هو !! . . .

وقهقه وهو يتخيل نفسه فاعلاً ما يفعل الشبان والاحداث . ثم أشعل سيجارة وارتمى على مقعد وثير وسأل نفسه : « أترانى أحبقر الشبان وأسخر مما يصنعون ؟؟ . وماذا أرى الحكمة والاتزان والوقار والاحتشام أجدانى ؟ . . . أو يمكن أن يجدينى ؟ . . . هه ؟ . ومع ذلك لم لأفعل كما يفعل الشبان . . . أترانى هزمت ! . . . كلا ! . . . فما جاوزت السابعة والثلاثين ، وإن كان الكثير من شعرى قد حال لونه ، وإنى لأقوى وأعظم جلداً على الحياة والكفاح من ابن عشرين . . . ولكنها عادة الاحتشام - قبحها الله !

ولم يرقه أن يقطع نفسه حشرات هكذا ، فقال . . . لماذا أرحى لنفسى الطيول . . . . . وهى ؟؟ أ أكبر الظن أنها لا ترانى ، ولا تبعأ بى إذا رأتنى ، ولا يرد ذكرى على بالها ، وإن كنت أراها أول ما يجرى بخاطرى فى الصباح ، وآخر شىء يجريه خاطرى بالليل . . . أفلا يحسن أن أ كبح نفسى عن هوى عقيم ؟؟ ولكن لماذا أدع العاطفة تستنفذ نفسها . . . لا مانع فيما أرى ، لو أن من الممكن أن تستنفذ نفسها . . . وهبها يمكن أن تفعل ، فاني أخشى أن تورثنى حشرات كثيرة . . . ولهفات ثقيلة . . . الأرجح مع ذلك أن تعمق العاطفة مجراها فى النفس وإن كان